

المصاحف

١٣١٥

مصر في يوم السبت ٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣١٧ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩

﴿ الفرصتان ﴾

من المجمع عليه ان المسلمين في هذه الازمنة متأخرون عن جميع الامم في حياتهم الاجتماعية فما من ملة من الملل الا وقد سبقتهم اما في بسطة المال وسعة الرزق وخفض العيش فمط كاليهود واما في هذا وفي العزة والسيادة وقوة السلطان وسطوة المالك ايضا . ومن المجمع عليه ان الامة في اشد الحاجة الى اصلاح يحفظ لها ما بقي لها من تراث اسلافها ويؤهلها لاسترداد ما سلب منه . ولا ريب في ان هذا الاصلاح اذا قامت به الحكومات والامة معا يكون اقرب حصولا واكثر فائدة وادنى لازالة المرض واصابة الفرض . وانه لولا قدرة الحكومات على حمل الامة على ما تريد منها طوعا او كرها لما كان يتأتى الاصلاح من قبلها . ولولا ان صلاح الامة يستلزم صلاح الحكومة لما كان اصلاحها كافيا لبوغ الغاية التي تقصد منه . اما وجه اللزوم فظاهر وهو ان الحكام افراد من الامة تختارهم هي لادارة نظامها وتنفيذ احكام شريعتها والصالح لا يختار الا مثله (الحبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) . ولكن الاصلاح اذا بدا

في الامة دون الحكومة فانما يتعدى اثره للحكومة بعد زمن طويل واذا بدا في الحكومة أولاً يظهر أمره في الامة في وقت قريب لما مرت به من التعميل . فوجب على المطالبين بالاصلاح ان يستصرخوا الحكومة والامة معاً عسى ان تلي الدعوة احدهما او كلاهما ولكن كثيراً من المتنبيين لوجوب الاصلاح يأسون منه لما يرونه من تقدم أوربا السريع . وتأخر شرقنا المريع . بل موته الذريع . وأعني بموته قيام الغربيين باعماله . واستئثارهم بامواله . وذهابهم باستقلاله . وما كان لمؤمن ان ييأس . انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون . فكم سنحت لنا الفرص وما انتهزناها . وكم نادنا النهز وما لبيناها . وقد قلنا في المنار الماضي ان امامنا الآن فرصتين للاصلاح احدهما في مصر وهي العلمية الدينية والثانية في بلاد الدولة العلية وهي السياسية الادارية . وانا مبينون هاتين الفرصتين في هذه المقالة بمض البيان

أما التي في مصر فحرية التعليم والتصنيف والتحرير والطبع والنشر والخطابة وتأليف الجمعيات بانواعها وهذه هي سلايم الترقى التي ترقى فيها الامم . ولا يوجد تحت السماء بلاد اسلامية متمتعة بتمام الحرية فيها كالبلاد المصرية والسبب في هذا ظاهر فان فقد الحرية في مثل هذه الامور النافعة انما يكون من فساد الاحكام واستبداد الحكام . وزمام السلطة في هذه البلاد بأيدي المحتلين وقد اقتضت سياستهم ان لا يتعرضوا لهذه الامور اما لانهم لا يشاؤون التعرض لها كراماً منهم وفضلاً على خلاف انهم لو لم يكون ثم وسائر الاوربيين في كل بلاد نفذ فيها شوكتهم وتعلو كلمتهم واما لان حكمة التدريج الذي يسرون فيه اقتضت ان يبدأوا بالاعمال المالية والادارية والسياسية ويكتفوا من الامور المدنية بادارة المدارس الاميرية على محور سياستهم واما لاسباب

اخرى . ومهما كان من السبب فان هذه الحرية فرصة تقتنم . فاذا فرطنا فيها
 ندمنا حيث لا ينفعنا الندم . اذ ربما تأتي ايام نحاسب فيها على خطرات القلوب
 وهو اجس النفوس . ونجبر على التعليم الذي يراد ونمنع من التعليم الذي نريده .
 واما انتهاز هذه الفرصة فباصلاح التعليم في الازهر الشريف وبالاجتهاد
 بتمميم المدارس الاهلية على الوجه المرضي . ولا مجال هنا لبيان الاصلاح
 الازهري فان لجنة من اكابر علمائه تبحث في هذه الايام بطرق هذا
 الاصلاح فرجى الكلام فيه الى ان تفرغ من بحثها ونعلم ما تقرره فاما ثناء
 وتجييداً . واما انتقاداً ونفيدياً . واطهر الدلائل على فساد طريقة التعليم المتبعة
 فيه من قبل ان الكثيرين أو الاكثرين من الذين يمتحنون للتدريس يبحر حون فلا
 يمنحون درجة من درجات التدريس على ما في الامتحان من السهولة وما
 منهم الا من يقضى خمس عشرة سنة في التعليم على الاقل . على ان الذين
 يمنحون شهادة العالمية ويؤذن لهم بالتدريس لا يوجد واحد في المائة منهم
 يحسن لغة الدين قولاً وكتابة بحيث يقدر على الكلام والخطابة باللغة العربية
 الصحيحة ويكتب بالاسلوب العربي البليغ . ولا يعقل ان احداً يفهم القرآن
 والحديث اللذين هما ينبوعا الدين من غير ان تكون ملكة اللغة راسخة في
 نفسه . ولذلك ماورد احد من علماء المسلمين وغيرهم الى هذه الديار واختبر
 تعليم الازهر الا وذمه وقال انه لا يرجي منه خير للمسلمين . فالاستاذ الشنقيطي
 من علماء المغرب والاستاذ الشيخ شبلي النعماني مدرس العلوم العربية في
 كلية عليكده في الهند والاستاذ الشيخ احمد جان القازاني مدرس العلوم
 العربية في مدرسة عاليجان في بلاد قران الروسية انفقت كلمتهم مع اختلاف
 اقطارهم على ان التعليم الازهري لا يرجي منه خير للمسلمين اذا بقي على حاله

وامثالهم كثير ولا حاجة الاستعداد بكلام الافرنج لان قوعنا لا يقبون
لكلامهم وزناً ويرجمون من يعاب بكلامهم بأسوأ الظنون. ولا ننكر ان تمام
الازهر على عائلته وجوده خير من مدمه بالكيفية . كيف وقد حفظنا
بعض علومنا وآثار سلفنا حفظاً يحمد عليه وان كان ناقصاً لا يبحث على العمل
الذي تحيا به الامة ؟ ولا يرجى ان تفيض الحياة المليية على الامة الا اذا صار
المتخرجون منه متعنين لوظائفهم التي انشأ الازهر ووقفت عليه الاوقاف
لاجلبها وهي حفظ الدين وانجته بحيث يقدرون على القيام بمنصب القضاء
الشرعي على الوجه الصحيح العادل الذي لا يثم به شرف الملة والامة وعلى
ارشاد الخاصة والعامة والتعليم في المدارس النظامية ليشو الدين في جميع طبقات
الامة ويخاطبوا كل انسان على قدر عقله وعلمه ويدفعون عنه الشبهات
المصرية. ولن يقدروا على شيء من هذا الا بتغيير اساليب التعليم وبالاطلاع
على احوال المصروفونه المتداولة ولو في الجملة ومنتصل ذلك في وقته ان
شاء الله تعالى

وأما فرصة الدولة العلمية فهي اشتغال روسيا فانكثرتا وسائر دول أوروبا
الكبرى عنها بالمسألة الصينية وانما الخطر على الدولة من روسيا التي يعرف
الناس ان سياستها القبايلية تقتضي نحو اسمها من لوح الدول وضمها الى
الامبراطورية الروسية العظمى أو من اتفاق أوروبا على تقسيمها . يدل على
شغل روسيا عنها بالطبع في الصين الفيحاء البعيدة الارجاء ان هذه الدولة
قد عزمت على تمزيق الخط الحديدي العظيم الذي انشأته في سيريا (وطواه
١٩٩٥ ميل) بخط آخر ينشط من الطريق الاعظم في بلاد منشوريا التي هي
في الشمال الشرقي للصين محتمدا الى صينا وآرثر ونيوشونم ويقرب ان تمدد من

هذه الحرب بين عاصمة الصين وريشدر المال اللازم لهذا النشاط بعشرين مليون
 جنيه كما قدر المال اللازم لطريق سيبيريا الاعظم بستة وخمسين مليون جنيه
 اذا مده عليه خط واحد وانها قررت اتفاقا ٩ ملايين جنيه لتعزيز أسطولها
 بالبوراج من الطرز الجديد. فخمسة وثمانون مليوناً من الجنيهات من دولة
 لا تعتمد من الدول الغنية ليس الا لتلك الغنيمة الكبرى التي تتوقعها في الصين
 ويؤكد ذلك تقوية الاسطول مع امنها على نفورها في أوروبا من الدول البحرية
 وعلما بان اليابان لا تقدم على محاربتها فتخاف منها على فلاديفوستوك وميناء
 آرر ولا يخشى على هاتين الحاضرتين من غير اليابان. هذا - ولا بد لانكرا
 وفرنسا والمانيا من مزاحمة روسيا ولا بد ان تمتد اشتغالهن بتلك المملكة الى
 سنين كثيرة . فيجب على الدولة المليئة ان تشتغل بنفسها مادام الطامعون في
 شغل عنها فقد مضى عليها نحو نصف قرن وهي مشغولة بالسياسة الخارجية
 عن الاصلاح الداخلي والدول الاوربية تطالبها بالاصلاح وهي التي تحول
 بينها وبينه . وقد بينا رأينا في الاصلاح الواجب من قبل في مقالات نشرت
 في المنار وأخرى في المؤيد وأهمها تعميم التعليم العسكري وتقوية الاسطول
 ومساعدة الرعية على تعميم المعارف وانتقاء العمال والحكام من الاكفاء
 والدولة العلية وسلطانها الاعظم ايد الله تعالى أعلم منا بما ينبغي ويجب من ذلك
 وقد وجه مولانا الخليفة أنظاره في هذه الايام الى هذا الامر المهم
 فتعاقبت ارادته السنية بزيادة الجيش لاسيما الأليات الحميدية وأمر من عهد
 قريب بانشاء بارجتين جديدتين ويخت سلطانني وباصلاح بعض السفن
 القديمة كما أمر بانشاء المكاتب والمدارس في بلاد اليمن وغيرها من الولايات
 الخروسة ونسأل الله تعالى ان يلهم قلبه الشريف ان يصدر ارادته لجميع الولاة

بتغيب الرعية في تأليف الشركات المالية وانشاء المدارس الوطنية وجميع
الفيالق العسكرية بتعميم التلاميذ العسكري وبالله التوفيق

باب التبرير والتعلم

﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾

(٨) من اراسم الى هيلانه في ١٦ يناير سنة ١٨٥٠

أكتب اليك هذا وقد استيقظت في الساعة السادسة من صباح اليوم
وعلمت ان عشرين مسجوناً أنا منهم قد فصلوا لارسالهم الى سجن ...
وبلغني ان أمر نقلنا وصل الى هنا ليلا من باريس فلم يكن لي من وسيلة
لاحاطتك علماً بهذا الخبر قبل الآن ولم يبق لي أمل في لقاءك فان السفر
سيكون في الساعة السابعة صباحاً. سيصلك هذا المكتوب وأنا في طريقى الى
الجزيرة التي جعلت مقراً لي فأودعك وداع محب ثابت على عهدى لا يشنيه
عن حبك اعتراض الحوائل ولا يلويه عن ذكر الـ تطويح المطاوح.
غرام على ياس الهوى ورجائه وشوق على بعد المزار وقربه

(٩) من هيلانه الى اراسم في ١٧ يناير سنة ١٨٥٠

جئت اليوم الى السجن لزيارتك فمثل لنفسك ما عراني من هزة الطرب
ونشوة الفرح لما علمت بانك اخرجت منه. ما كان أبعديني عن العقل وأقر بني
من الجنون في تلك الساعة اذ ظننت انك فزت برجوع نعمة الحرية اليك.
لكن لم يلبث كاتب سر السجن ان ابان لي خطائي اذ أخبرني بانك قد وجهت
(هكذا عبارته) الى جزيرة ... واني سأتبعك قاطمة اجواز البحار. مقتحمة في
سبيل القرب منك جميع الاخطار. فأينما تكن وان في آخر الدنيا فلا بد لي